بالدرجة الأولى، بل كان اهتمامهم الأول يرتبط بالميدان السياسي، وهم بسبب ذلك لم يلتفتوا كثيراً للجانب الجمالي ودوره في تحديد الدلالة الاجتماعية والإيديولوجية في الرواية، وهذا ما تعذر بسببه ـ على الأقل في هذه المرحلة الأولى من مراحل تطور المنهج الاجتماعي ـ قيامُ نظرية نقدية للرواية، تُحَدِّدُ بدقة موقع التعبير الروائي بالنسبة للصراع الاجتماعي، وتميزه في الوقت نفسه عن الخُطَبِ السياسية والإيديولوجية، ثم عن أشكال التعبير الأدبي الأخرى.

إن النقد الجدلي في صورته الأولى، باعتباره ينظر إلى الرواية كإيديولوجيا ـ مثلها في ذلك مثل أشكال الإيديولوجيا الأخرى: الفلسفة، الدين، الخطب السياسية ـ، لم يكن يعطي لبنائها الجمالي أهمية أساسية. إنه يكتفي عادة بما يتركه الانطباع العام الذي ينشأ عند القراءة الأولى للنص، وإذا ما تم تحليل بعض الجوانب الجمالية في العمل الروائي، فإن ذلك لا يتم عادة إلّا في ضوء الرجوع الدائم إلى الواقع العياني، لمقارنة الشخصيات الروائية مثلاً بشخصيات موجودة في الواقع الخارجي، أو المقابلة بين الأمكنة الروائية، والأمكنة الواقعية، إلى غير ذلك من المقارنات التي لا تفيد غالباً في فهم الأعمال المدروسة، وإنما تُشَعِّبُ الدراسة في متاهات لا قرار لها.

ويمكننا أن نحدد الخصائص التي مَيَّزَتْ النقد الجدلي الروائي الذي كان سائداً في روسيا، خاصة قبل أن تظهر أعمال: «جورج بليخانوف» (Georghi Plekhanov) في النقط التالية:

ـ غياب واضح للنص المدروس.

ـ التركيز على المضمون الاجتماعي والإيديولوجي وفق تصور لِلنَّاقِد لا يمكن التَّحقُّق من مطابقته أو عدم مطابقته للنص المدروس إلا بالرجوع المباشر لهذا النص.

ـ تَسَرُّبُ الأحكام القيمية.

ـ المقابلة المباشرة (أحياناً) بين مضمون الرواية والواقع.

ـ غياب الكلام عن جماليات البناء الروائي.

ـ اعتبار الرواية خطاباً إديولوجياً مباشراً[88].

وهكذا فإن النقد السوسيولوجي للرواية ـ في بداياته الأولى ـ لم يكن يناقش قضية تَمَيُّز الرواية والأدب بشكل عام عن الإيديولوجيا، وأول من طرق هذا الموضوع، هو «جورج

---

(88) يمكن الرجوع إلى نقد لينين في كتابه المشار إليه سابقاً: **في الأدب والفن**. وخاصة آراؤه حول تولستوي. انظر الجزء الأول، من ص 205 إلى ص 228.